الفكر الإداري عند الفارابي
دراسة تاريخية تأصيلية*

د. أثيـــر أنـــور شريـــف

مدرس الإدارة العامة

كلية الإدارة والاقتصاد – قسم الإدارة العامة

جامعـــــة الأنبـــــار

جمهورية العراق

ملخـــص:

يعد الفارابي أحد أبرز الفلاسفة المسلمين الذين قدموا نتاجهم الفكري في مختلف العلوم والتخصصـــات، ولكنه تميز بفلسفته السياسية والاجتماعية التي نعتقد أنها احتوت على مضامين إدارية وتنظيمية جديرة بالبحث، وبالفعل فقد أثبتت هذه الدراسة أن الفكر الإداري والتنظيمي وفلسفتهما على مستوى مـــن النضـــج والأهميـــة والعمق ما هو جدير بالاهتمام والبحث والدراسة، بما يمكن أن يعد إضافة تراكمية حقيقية فـــي مجـــال الإدارة العامة أو بما يمكن أن يخدم أية انطلاقة بحثية تعتمد المنهج التاريخي التأصيلي لمثل هذه الإنجازات، للوقوف على مدى وحجم علاقتها وروابطها وجذورها بالأفكار المعاصرة في ذات الميدان.

لذلك فقد أشارت الدراسة التي اعتمدت بالأساس على كتابات الفارابي ذات العلاقة بالإدارة وعلى بعـــض المصادر التي أشارت إلى مؤلفاته: إلى أن آراءه وأفكاره لاسيما المرتبطة منهـــا بالقيـــادة والرؤيـــة والإدارة الاستراتيجية والهرمية والتنظيم والتخصص وحتى في مجال الإبـــداع الإداري أو موضـــوع الفســـاد الإداري وغيرها..، على مستوى من التنظير الفلسفي الذي يضاهي ويتكامل مع المؤلفات والأفكار الإدارية المعاصـــرة في هذا المجال.

استند البحث بالأساس على افتراض رئيس مفاده: أن فيلسوفنا قدم فلسفة وفكرًا إسلاميًا واضح المعالم لأسس ومقومات علم الإدارة عمومًا وللإدارة في الإسلام خصوصًا، وهي بمستوى من العمق والتميز بشـــكل يضـــاهي وينافس الأفكار المعاصرة في مجال الإدارة والتنظيم، وقد أثبتت الدراسة صحة هذا الافتراض من خلال النصوص والعبارات المتواترة في مؤلفات الفارابي نفسه، ومن خلال التفسير المعاصر لآرائه وأفكاره ذات العلاقة.

ومن أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة: إن الفارابي يمكن أن يعد واحدًا من أهم وأقدم منظري المدرسة الكلاسيكية في الإدارة على اختلاف نظرياتها وفلسفاتها.

* تم تسلم البحث في فبراير 2009، وقبل للنشر في أغسطس 2009.

مقدمـــــة:

يعد العمق والإنجاز التاريخي والحضاري لأية أمَّة منبع فخرها وأساس أصالتها ومؤشرًا حقيقيًـا لحجـم التمدن والتطور في إنجازاتها الماضية وفي تواصلها مع حاضرها، وتاريخنا العربي والإسلامي يزخر بالعديد من الشواخص الفكرية الأصيلة والرائعة التي هذبتها العقيدة وربتها القيم العربية، فكانت بحق مصابيح الهـدى التي أنارت سبيل الإنسانية على مر العصور.

كان الفارابي أحد هذه الشواخص والأعلام، وكانت لأفكاره التي نشرها علـى مـدى (187) كتابًـا ومؤلفًا الأثر الواضح من خلال استحضارها في مختلف العلوم، واستشهادها من قبل مختلف العلماء، وفي المجالات المختلفة، واليوم نستحضر بعضًا من أفكار هذا العالم والفيلسوف للنظر في مضامينها الإداريـة انطلاقًا من مبدأ أن واقع حال هذه الأمة لا يتغير إلا من خلال نظرة موضوعية من حاضرها إلى ماضيها ذات توجه مستقبلي.

والفارابي لم يكن مؤلفًا متخصصًا في مجال علم الإدارة، ولا حتى في السياسة، بـل لـم يكـن عالمًـا متخصصًا في مجال محدد ما فقط. إنه بكل بساطة وبكل شمولية: فيلسوف موسـوعي، ذلـك أن الفيلسـوف يعوض الاتجاه التخصصي للعالِم بنوع من المعرفة الشاملة والعريضة الأفق، تبلغ من الاتساع بقدر ما تبلغـه معرفة العالِم من الضيق والتخصص. وبناءً على ذلك فقد كانت مهمته صعبة وغير يسيرة أن يُجمع الشـتات الفكري ذو العلاقة بتخصص هذه الدراسة (الإدارة العامة) بين ثنايا أسطر أفكار هذا الفيلسوف التي دونها في كتبه وآرائه ومؤلفاته المختلفة.

وهذا يعني إنه لا يمكن القول إن هناك نظرية محددة ما أو جهدًا فكريًا منظمًا وخالصًـا فـي مجـال الإدارة عند الفارابي، وإنما هي بعض الأفكار والإشارات الفكرية المتناثرة ذات العلاقة، والتي اجتهدنا فـي تفسيرها من منظور إداري متخصص، وبالتالي فإن هذا الجهد عبارة عن قراءة إدارية لفكره وفلسفته، والتي نعتقد إنها بلغت من النضج والدقة الشيء الكثير، بما يؤهلها للتنافس مع عدد كبير مـن الأفكـار الإداريـة المعاصرة، أو على أقل تقدير اكتشاف أن لها جذورًا أصيلة وبذورًا واضحة في الكتابات الفلسفية عند هـذا الفيلسوف، وربما جرى بعض ذلك بسبب أن التعبير عن بعض المفردات الإدارية المعاصرة كان بلغته التي عاصرها هو، والتي تتماثل في البنية والوظيفة، ولكن ربما تختلف عنها شيئًا ما في الصياغة والتجسيد، ذلك أن اللغة كانت دائمًا تعبيرًا رمزيًا يجري باتفاق المتكلمين بها على الأشياء التي يقصدونها في كلامهم، ذلك الاتفاق الذي قد يتطور أو يتغير أو يُلغى مع مرور الزمن.

ونحن نعتقد أن تعبيرات ومصطلحات الفارابي ذات العلاقة والتي سيجري استخدامها وتوظيفها في هذا البحث تتماثل في محتواها ووظيفتها مع المرادفات التي يوضحها الجدول التالي:

جدول (1)

مقارنة افتراضية بين تعبيرات الفارابي ذات العلاقة ومصطلح الإدارة المعاصر

ت	تعبيرات الفارابي	مصطلح الإدارة المعاصر
1	الرئاسة.	القيادة.
2	السعادة.	النجاح وتحقيق الأهداف وإشباع الحاجات.
3	المدينة.	التنظيم (المنظمة).
4	المدينة الفاضلة.	التنظيم الجيد والناجح والفاعل.

المصدر: إعداد الباحث.

وفي استقراء محتوى مسميات الفارابي مقابل مصطلحات وتعبيرات الإدارة المعاصرة تكمن الفائدة التي تساعد في توظيف تلك الأفكار الرائعة التي أوردها في مؤلفاته توظيفاً يساعد – من خلال قراءتها بعين الباحث الإداري– على استنباط واستخلاص وتقويم وتحليل محتوى تأصيلها وتنظيرها الإداري والتنظيمي.

وبناءً على ذلك فقد تم التطرق في "أولاً" إلى منهجية البحث والدراسات السابقة والتي احتوت على مشكلة الدراسة وتساؤلاتها وأهدافها وغاياتها، ثم عمد إلى الكلام بإيجاز عن أهميتها والمنهج العلمي المتبع فيها، وأخيرًا الإشارة إلى حدود البحث وفروضه، ومن ثم الكلام في الدراسات السابقة.

أما في "ثانيًا" فقد خصصت بشكل مختصر للفارابي، شخصيته وسيرته الذاتية وإنجازاته، من خلال الإجابة عن التساؤل الأهم هنا: من هو الفارابي؟

تم التطرق في "ثالثًا" إلى المضامين الفكرية والفلسفية الإدارية والتنظيمية عند الفارابي، إذ احتوت في مفرداتها على الإشارات والإضاءات التي استطاع الباحث اقتباسها وتشخيصها وتحليلها باعتبارها محتوى للأفكار والتنظيرات الفلسفية ذات العلاقة، وبما يخدم أغراض البحث وأهدافه، لأجل الوقوف على المضامين الإدارية فيها والتي اهتمت بكل من: القيادة، والإدارة والتفكير والرؤيا الاستراتيجية، والهرمية والتنظيم، والتخصص والإبداع، وآرائه في محاربة وتشخيص الفساد الإداري.

وأخيرًا جاء "رابعًا" للاهتمام ولتوضيح خاتمة الدراسة، وأهم الاستنتاجات التي توصلت إليها.

أولاً- منهجية البحث والدراسات السابقة:

1- مشكلة البحث وتساؤلاتها:

تعاني ساحة الفكر والتنظير العربية والإسلامية في مجال الإدارة من غياب واضح للجهد العلمي والمنظم من البحوث والدراسات ذات العلاقة التي يمكن أن تشكل أو ترسم أو تصف أو تساهم حتى في توضيح أو بناء

نظرية معرفية ذات بعد تطبيقي وعملي للفكر الإداري العربي والإسلامي، تلك المعتمدة على كتابات ومؤلفات كل من أصحاب الفكر الفلسفي التاريخي ذوي العلاقة من جهة أو القائمين والممارسين للنشاط الإداري في ذلك الزمن من جهةٍ أخرى، باعتبارها معتمدة في مجال الممارسة والتطبيق أو الفكر والتنظير على المبادئ والقـيم والممارسات الإسلامية. وربما يعود السبب في ذلك إلى انخفاض في توجه الباحثين لاعتماد مثل هذه الدراسات سعيًا لتأصيل المعرفة المستنبطة من خلال تلك الكتابات، على الرغم مـن وجـود زخـم مكتبـي لمؤلفـات ومخطوطات يمكن أن تكون منبعًا ثرًا ومنهلاً وارفًا لمثل هذه التوجهات.

وبقدر تعلق الأمر بهذه الإشكالية المعرفية النظرية وانطلاقًا منها وبمستوى مشكلة البحث التـي يسـعى لمعالجتها والوقوف عندها من خلال تناوله للنتاج الفكري والفلسفي ذي العلاقة لفيلسوف مثل الفارابي يجدر أن نتساءل:

أ- هل هناك فكر أو تنظير إداري واضح عند الفارابي يمكن أن يعد رافدًا علميًا واضحًا في هذا المجال، من خلال كتاباته في المسائل السياسية والاجتماعية وفلسفتها، ما هي؟ ما طبيعتها؟ ما حجمها؟

ب- هل يمكن تأصيل بعض الكتابات أو النظريات أو الأفكار المعاصرة في ميدان الإدارة إلى عمق تاريخي يصل بزمانه إلى الفارابي؟، وإذا كان هذا واردًا، ما هي العلاقة التي يمكن تبنيها فيما إذا تم تشخيص وجود هذه الروابط الفكرية والتاريخية؟

ج- إلى أي مدرسة فكرية أو نظرية تنظيمية يمكن تشخيص وتصنيف كتابات الفارابي في مجال الإدارة إليها؟

2- أهداف البحث:

تسعى صفحات هذا البحث إلى فحص وتشخيص الأفكار الإدارية في كتابات الفارابي، سيما تلـك التـي تضمنتها كتب "آراء أهل المدينة الفاضلة" و"السياسة المدنية" و"رسالة في السياسة" والتي تعد بحق من الكتـب الأساسية التي تعالج الأفكار الإدارية المختلفة والمتعلقة بفلسفة الإدارة العامة ومضامينها المرتبطـة بالسياسـة العامة، والحكومة، ونظرية القيادة، والإدارة الاستراتيجية، وغيرها. لذلك فإن هذا البحث يسعى إلى بناء المزيد من التراكم العلمي، سيما في الميدان الفلسفي والفكري لعلم الإدارة العامة بالاعتماد علـى مؤلفـات الفـارابي كمسعى لأجل المساهمة في بناء نظرية إدارية إسلامية شاملة.

كما إن من أهداف البحث الوقوف المباشر على محتوى التنظير الفكري لعلم الإدارة عند هذا الفيلسـوف من خلال بعض مؤلفاته ذات العلاقة، زيادة على إبراز ماهيتها وطبيعتها وفقًا للأسس النظرية المعاصرة لهذا العلم، لأجل القيام بحكم موضوعي على مدى قرب أو بعد تلك الأفكار الفلسفية والنظرية مع ما هو معاصـر منها في الكتابات والبحوث ذات العلاقة.

3- أهمية البحث:

أ- اكتشاف المزيد من القيم العلمية والنظريات الفكرية في تراث الأمة وتاريخها في المجالات العلمية والعملية المتخصصة، وبما يساهم في بناء المزيد من التراكم العلمي والمعرفي الذي يمكن أن يخدم واقع التنمية العلمية المتخصصة فيها.

ب- تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال أهمية هذا الفيلسوف وفلسفته وعمق دراسته وجليل تأثيراته في مختلف أصناف المعرفة الإنسانية حتى سمي بالمعلم الثاني.

ج- أهمية مترتبة على الأفكار والنظريات التي يمكن اكتشافها ووصفها وتحليلها ومعالجتها في ميدان الإدارة العامة، وبما يسمح بإضافة معرفية في مجال نظرية الإدارة في الإسلام يمكن الاستفادة منها في حقل الاختصاص، وبما يساهم في إثراء الجانب النظري الخاص ببناء النظرية الإدارية الإسلامية سعيًا في تطور هذا الميدان.

4- المنهج العلمي للبحث:

تقوم الدراسات في اعتمادها على الكتابات التاريخية ذات المضامين الفكرية والفلسفية على المنهج التاريخي في معالجة وتحليل تلك المضامين والرجوع إلى المسح المكتبي المفيد في هذا المجال، لذلك جاءت هذه الدراسة انطلاقًا من المنهج التاريخي التأصيلي في الوقوف على طبيعة ومحتوى الرؤى والأفكار ذات الدلالة الإدارية من خلال إعادة قراءة تلك المضامين بعين إدارية أكاديمية.

5- حدود البحث:

البحث معني بأفكار الفارابي، لذلك فإن الحدود النظرية والفلسفية هي نتاجات ومؤلفات الفارابي ذات العلاقة، وآراؤه وأفكاره التي يمكن توظيفها في هذا المجال؛ أما الحدود التطبيقية والميدانية فنعتقد أن نماذج ونظريات وأفكار الفارابي التي تناولنا مضامينها في مجال تخصص البحث تصلح في ميدان الإدارة العامة بمؤسساتها ومنظماتها المختلفة في البيئة العربية الإسلامية بشكل خاص.

6- فروض البحث:

تستند الدراسة بالأساس إلى افتراض رئيس مفاده: إن فيلسوفنا الفارابي أنتج بفكره – ومن خلال آرائه التي تضمنتها مؤلفاته ذات العلاقة – أسسًا واضحة ومقومات جلية لمبادئ علم الإدارة؛ هذا الافتراض العام ينسحب على جميع المجالات في المضامين الإدارية التي سيتم الإشارة إليها لاحقًا في هذا البحث، وهذا يعني افتراضًا وبشكل محدد وخاص: إنه قدم فلسفة وفكرًا إسلاميًا لمبادئ وأسس ومقومات الإدارة في الإسلام؛ وذلك من خلال كل من المشاهدات التطبيقية والممارسات الفعلية لأعمال الولاة والأمراء والخلفاء الذين

عاصرهم أو سمع عنهم من جهة، والاستنتاجات الفكرية التحليلية التي استنبطها من مــنهج وعقيــدة الإســلام وضوابطه من جهة أخرى.

7- الدراسات السابقة:

على الرغم من الكم الهائل من الكتابات والمؤلفات والبحوث التي اهتمت بالفارابي وما قدمه مــن نتــاج فكري إنساني ثري في مختلف التخصصات، وبقدر تعلق الأمر بميدان البحث، فإن الكتابات ذات العلاقة تتعلق بالتحديد بالفلسفة السياسية ومجالاتها المتنوعة، باعتبارها الميدان الأقرب لميدان العلوم الإدارية، وحتــى هــذه الكتابات هي من السعة والثراء والكثرة، بحيث يصعب جدًا حصرها وتشخيصها.

مع ذلك فإن الكتابات الدقيقة والواضحة المرتبطة بالفكر أو بالفلسفة الإدارية عند هذا الفيلسوف هي نادرة جدًا، ونحن نعتقد إنه لا يوجد حتى الآن أي عنوان مستقل يحمل بين طياته موضوعًا للإدارة بشــكل واضــح مرتبطًا مع نتاجات الفارابي، وربما تكون هذه الدراسة –اجتهادًا– هي الأولى من نوعها في تصدرها وتبنيهــا لعنوان متخصص مستقل لميدان الإدارة وموضوعاتها المختلفة عند الفارابي.

على الرغم من ذلك فإن هناك عددًا كبيرًا من الدراسات والبحوث هي الأقرب من هذا الميدان، من خلال معالجتها وبين ثنايا أسطرها موضوعات واضحة ومتخصصة في مجال الإدارة، سعى الباحث إلــى توظيــف بعضها، مما استطاع تناوله في سبيل أغراض البحث وغاياته، وربما كان من أشهرها وأقدمها دراسة "بنعبــد العالي" بحث الدبلوم العالي في الفلسفة الذي حمل عنوان "الفلسفة السياسية عند الفارابي" والذي احتوى علــى مضامين وموضوعات إدارية واضحة المعالم استفاد منها الباحث في مجال بحثه.

كما إن مؤلف "نظرية الدولة عند الفارابي: دراسة تحليلية تأصيلية لفلسفة الفارابي السياسية" لـــ "صــقر" واحد من المؤلفات المهمة القريبة من هذا المجال، وبالذات علم الإدارة العامة والتي استطاع الباحث توظيــف بعض من موضوعاتها في أدبيات هذه الدراسة.

بالإضافة إلى ذلك كانت دراسة "صالح": "السياسة الفارابية وآراء أهل المدينة الفاضلة" المنشورة في مجلة "آفاق عربية" واحدة من الدراسات المهمة التي احتوت مضامين في فلسفة الإدارة بين ثناياهــا بشــكل جلــي، استثمرها الباحث في تحقيق أهداف بحثه.

أخيرًا فإنه تجدر الإشارة إلى أن المؤلفات التي تناولت فلسفة الفارابي وأفكاره لاسيما السياسية منهــا باعتبارها الميدان الأقرب لمجال الإدارة العامة هي واسعة الانتشار، ولكن مــع ذلــك يبقــى اســتخلاص المحتوى الإداري بين ثنايا أسطرها مهمة ليست بالسهلة، وهذه الدراسات هي ما استطاع الباحث توظيفهــا في مجال بحثه هذا.

ثانيًا- الفارابي من هو؟

قيل: لا خلاف بين المؤرخين في إن اسم الفارابي هو(محمد) وأنه ملقب بـ (أبي نصر) وقد اختلفوا بعد ذلك في نسبه (الزيادي، 1989: 292)، والأرجح ما أورده (ابن خلكان: 100) في أنه: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ المشهور بالفارابي نسبة إلى بلدة "وسيج" في ولاية "فاراب" بإقليم "تركستان"، ولد عام 870 هجرية من أب يعمل قائدًا عسكريًا من أصل فارسي وأم تركية.

كان الفارابي منذ صباه مولعًا بالأسفار، إذ تنقل في بلاد الإسلام حتى دخل العراق، قيل: وهو شاب، وقيل وهو في الأربعين من عمره (شرف ومحمد،1975: 239). وفي بغداد استطاع الفارابي أن يلم في دراسته بالمنطق والنحو والفلسفة والموسيقى والرياضيات والعلوم، كما أنه تمكن من إجادة أكثر من لغة (عبد العزيز،1977: 9).

انتقل بعد ذلك بسبب سوء الأحوال السياسية والاجتماعية من بغداد إلى الشام، ثم سافر بعدها إلى مصر، وعاد إلى حلب حاضرة سيف الدولة الحمداني (الزيادي، 1989: 293)، الذي أكرم وفادته وأجزل له العطاء لما رأى منه العلم الغزير، لكن الفارابي الفيلسوف الزاهد لم يكترث بجاه أو مال، وسرعان ما رفض أن يعيش بترف، فاكتفى بأربعة دراهم كان ينفقها في وجوه معاشه (عبد العزيز، 1977: 10).

وعمومًا لا يعرف الكثير عن حياته، فقد كان شخصًا يخلد إلى السكينة والهدوء، وقف حياته على التأمل الفلسفي يستظل بظل الأمير الحمداني ثم ارتدى في آخر الأمر زي المتصوفة (كامل وآخرون،1983: 288).

توفي الفارابي في دمشق وهو مسافر في صحبة الأمير سيف الدولة، وذلك في ديسمبر سنة 399 هجرية – 950 ميلادية، ويروى أن أميره لبس زي أهل التصوف وصلى عليه في بعض خاصته، وله من العمر ثمانين سنة.

وأظهر ما يوقفنا في حياة الفارابي أنه كان رجلاً يميل إلى التأمل والنظر ويؤثر العزلة والهدوء. بدأ شبابه متفلسفًا وقضى كهولته متفننًا، وختم حياته متصوفًا (أمين، 1973: 48). عاش وحيدا بلا مال ولا أبناء ولا زوجة، وآثر العيش بين أفكاره وكتبه، التي كانت بحق بحر عذب من العلوم المتنوعة (عبد العزيز،1977: 15)، حتى قيل إن الحكماء أربعة، اثنان منهم قبل الإسلام وهما أفلاطون وأرسطو، واثنان في الإسلام هما أبو نصر الفارابي وأبو علي بن سينا (الزيادي ،1989: 294)، ذلك أن الفارابي كان واسع الثقافة إلى حد بعيد فلم يدع علمًا من العلوم في زمانه إلا وبرع فيه وألف، ولنا في كتبه التي وصلت إلينا ومن العناوين التي ذكرها المؤرخون والتي فُقِد الكثير منها براهين ساطعة على تضلعه في علوم اللسان والرياضيات والكيمياء والعلوم العسكرية والموسيقى والطبيعيات والعلم المدني والفقه والمنطق والسياسة والأخلاق، فلا عجب أن قال عنه "ابن سبعين" إن هذا الرجل هو أفهم فلاسفة الإسلام، وأذكرهم للعلوم القديمة، وهو الفيلسوف فيها لا غير، وبذلك فقد استحق لقب المعلم الثاني (شرف ومحمد،1975: 241).

ثالثًا- المضامين الإدارية عند الفارابي:

على الرغم من أن الفارابي قد نشر أفكاره وفلسفته في (187) كتابًا كما سبق القول، فإن عددًا قليلاً منها يمكن أن يخدم أغراض بحثنا هذا، وهي تلك المتعلقة بالفلسفة السياسية والاجتماعية منهـا عمومًـا، ويـذكر "الشيرواني" أن غالبية آراء ونظريات وأفكار الفارابي السياسية تنحصر في مؤلفين فقط له هما: كتـاب "آراء المدينة الفاضلة"، وكتاب "السياسات المدنية" (الفاخوري والجر، 1958: 93). ولقد اعتمد الباحث بما يـتلاءم وتوجهات هذه الدراسة أيضًا على كتاب الفارابي "رسالة في السياسة" أو كما يســمى "رسـالة فـي السياسـة الشرعية"، فمن المعروف أن الفكر الإداري وفلسفة الإدارة اقرب ما تكون إلـى الفكـر والفلسـفة السياسـية ومضامينها، لذلك فقد تم اعتماد هذه الكتب بشكل أساسي لأنها ذات علاقة مباشرة بسياق البحث ومنهجه، زيادة على بعض المصادر التي أشارت إلى مؤلفات أخرى ذات علاقة مباشرة بموضوع البحث، في تأصيل المعرفة المترتبة بخصوص الفكر الإداري عند الفارابي، ويمكن الإشارة إلى أهم تلك المضامين والأفكار بالنقاط الآتية:

1- القيــادة:

ربما كانت أكثر الأفكار الإدارية وضوحًا عند "أبو نصر" هي تلك المفاهيم المتعلقة بالقيادة، باعتبارها فن التأثير في الآخرين. فإن هذه الوظيفة "القيادة" هي أساس كل تنظيم، ولا تقوم المنظمـات إلا بوجـود القـادة .(Mondy & Premeaux, 1995: 90)

يتناول الفارابي موضوع القيادة من زوايا متعددة، ففيما يتعلق بأهمية وضرورة القيادة يعتقد الفـارابي أن من أهم وظائف المدينة الفاضلة (التنظيم الناجح) وأكبرها خطرا هي وظيفة الرئاسة (القيادة). ذلك أن رئـيس المدينة أو قائدها إنما هو منبع السلطات العليا التي يقف على رأسها، وهو المثل الأعلى الذي تتحقق فيه جميع معاني الكمال وهو مصدر حياة المدينة ودعامة تنظيمها (الحسن،2001: 65)(وافي، :30)، إذ لا يمكن للمدينة في نظر الفارابي أن تكون صالحة عادلة إذا هي لم تخضع لقيادة (بنعبد العالي،1997: 85)، حتى إن انتقـاده الأول كان للمدينة الجماعية هي إنها: (الفارابي،1994: 92) لا رئيس فيها ولا مرءوس. والأمر مختلف فيمـا يتعلق بالمدينة الفاضلة لأنها على حد قول (بنعبد العالي،1997: 85): تحتاج إلى إدارة وتنظيم وإلى من يوجه الناس نحو الرأي والعمل الصائب، وإنما يتأتى ذلك بقيادة تمكن تلك الأفعال والملكات في المدينة أو الأمة، أي (التنظيم) مهما كان حجمه أو طبيعته.

كما يشير الفارابي إلى أن القيادة أمر وشرط لازم سابق حتى على وجود المدينة (التنظيم) ذاتها، إذ إنـه يجب أن يكون فيها عضو رئيس سماه أو شبهه بالقلب، وأن رئيس المدينة على حد قـول (الفـارابي، 1959: 96): يكون هو أولاً ثم يكون هو السبب في أن تحصل المدينة وأجزاؤها. أي أن يبنى التنظيم ومكوناته.

وفي مجال القيادة أيضًا نعتقد أن الفارابي هو أول الفلاسفة الذين فسروا الأصول النظرية للقيادة وأرجعها

إلى عوامل فطرية أو مكتسبة، وهو ما يقابل في الدراسات المعاصرة نظرية السمات والنظرية السلوكية، إذ تركز النظرية الأولى على أبرز السمات والعوامل التي تجعل أشخاصًا دون غيرهم قادة، أما النظرية الثانية فتحدد التصرفات الواجب اتباعها للقيادة الفاعلة "Robbins, 1994: 496" .

وبهذا الشأن يناقش (الفارابي، 1959: 1) بما هو نصه: إن الرئاسة إنما تكون بشيئين، أحدهما أن يكون بالفطرة والطبع معدًا لها، والثاني بالهيئة والملكة الإرادية. وبذلك يشير الفارابي: إنه ليس في وسع كل إنسان أن يكون رئيسًا (قائدًا)، لان الرؤساء ليسوا كذلك بالإرادة فقط، ولكنهم قادة بالطبع والملكات التي يحملونها أيضًا (صقر، 1989: 75).

ونحن نعتقد أن الفارابي كان من أنصار نظرية السمات في بداية الأمر، فهو القائل: والرياسة تكون وتحصل لمن فطر بالطبع عليها (الفارابي، 1959: 101). وليس هذا وحسب، بل إن العناصر التي وضعها لصفات القائد هي صفات أو سمات بمعنى الكلمة، وهي أقرب منها إلى الفطرة والطبع، إذ يرى فيلسوفنا أن كل عضو من أعضاء المدينة الفاضلة لا يصلح أن يكون رئيسًا لها، بل إن رئيس المدينة هو أكمل إنسان أو عضو فيها (شرف ومحمد، 1975: 260). أما هذه الصفات أو الخصائص فقد حددها الفارابي بالآتي (الفارابي، 1959: 105):

أ- أن يكون تام الأعضاء.

ب- أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له.

ج- أن يكون جيد الحفظ لما يراه ولما يسمعه ولما يدركه.

د- أن يكون جيد الفطنة ذكيًا.

هـ- أن يكون حسن العبارة، يؤتيه لسانه على إبانة كل ما يضمره.

و- أن يكون محبًا للتعليم والاستفادة، منقادًا له.

ز- أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح.

ح- إن يكون محبًا للصدق وأهله مبغضًا للكره وأهله.

ط- إن يكون كبير النفس محبًا للكرامة.

ي- أن يكون الدرهم والدينار وسائر أغراض الدنيا هينة عنده.

ك- أن يكون بالطبع محبًا للعدل وأهله ومبغضًا للجور والظلم وأهلهما.

ل- أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل.

هذه هي صفات الرؤساء الأفاضل والتي بهم تتحقق السعادة وينالها أفراد المدينة الفاضلة، والناس الذين

يدبرون برئاسة هذا الرئيس هم الناس الفاضلون والأخيار والسعداء، وإن كانوا أمة فتلك هي الأمــة الفاضــلة (الفارابي، 1994: 68)، بما معناه أن هذه هي صفات القيادة الفاعلة والتي بها تتحقق وتنجز الأهداف من قبل التنظيم الذي يرأسونه، والأفراد الذين يعملون أو يدارون تحت لواء هذه القيادة هم النـــاس النــاجحون حتمًــا، والتنظيم الذي يرأسه هو التنظيم الناجح والفاعل .

ولإدراك الفارابي أن مثل هذه الصفات أو السمات من الصعب تحققها في شخص مــا فـــي وقــت مــن الأوقات، فقد أشار (الفارابي، 1959: 107) بالقول: وإن اتفق أن لا يوجد مثله في وقت من الأوقات أخــذت الشرائع والسنن التي شرعها هذا الرئيس وأمثاله. وهذا يعني أنه يفعّل دور النظرية الثانية من نظريات القيادة، تلك التصرفات الواجب اتباعها للقيادة الفاعلة، أي أنه عمل على وضع شروط إرادية هي أقرب إلى المعــايير السلوكية منها إلى السمات أو الخصائص (صقر، 1989: 78)، تلك هي: (الفارابي، 1959: 107)

أ- أن يكون حكيمًا.

ب- أن يكون حافظًا للشرائع التي دبرها الأولون.

ج- أن يكون له جودة الاستنباط فيما لا يحفظ عن السلف في الشريعة.

د- أن يكون له جودة ورؤية وقوة استنباط لما سبيله أن يعرف في وقت من الأوقات الحاضرة من الأمور والحوادث التي تحدث مما ليس سبيلها أن يسير بها الأولون.

هـ- أن يكون له جودة إرشاد للقول إلى شرائع الأولين وإلى التي استنبطت بعدهم ممن احتذى فيها حذوهم.

و- أن يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب.

ولقد أطلقت تسمية الرئيس الثاني أو الرؤساء الثواني على القادة الذين يتمتعون بهــذه الصــفات، أي الذين ينطلقون من النظرية السلوكية في القيادة، ولقد أسهب وأطنب الفارابي لاحقًا في مؤلفاته الأخرى في الكلام عن التفصيل بالآليات السلوكية اللازمة لهذه القيادة، إذ خصص في مؤلفه "رســالة فـــي السياســة الشرعية" فصولاً فيما ينبغي أن يستعمله المرء مع رؤساءه، وفيما ينبغي للمرء أن يستعمله مــع أكفائــه، وفيما ينبغي أن يستعمله مع من هو دونه (الفارابي، 2003: 67-76) كل ذلك في سبيل خلق وبناء القيادة الفاعلة والناجحة في التنظيم أيًا كان.

ومن الإشارات المهمة فيما يخص مفهوم القيادة عند الفارابي أيضًا هو إيمانه باختلاف مستويات القيــادة وفاعليتها، وربما كان لذلك ما هو مرتبط بإيمانه بصعوبة وجود القائد الأمثل، وكذلك ما هو مرتبط بتصــوره عن الشكل الهرمي للمدينة الفاضلة (التنظيم الناجح والفاعل)، إذ يشير أبو نصر بــالقول: (الفــارابي، 1994: 66) إنه ليس في قوة كل إنسان أن يرشد غيره، وليس في قوة كل إنسان أن يحمل غيره على الأشــياء التــي يريدها، ومن لم يكن له القدرة على أن يُنهض غيره نحو شيء من الأشياء أصلاً ولا أن يستعمله فيه، وكــان

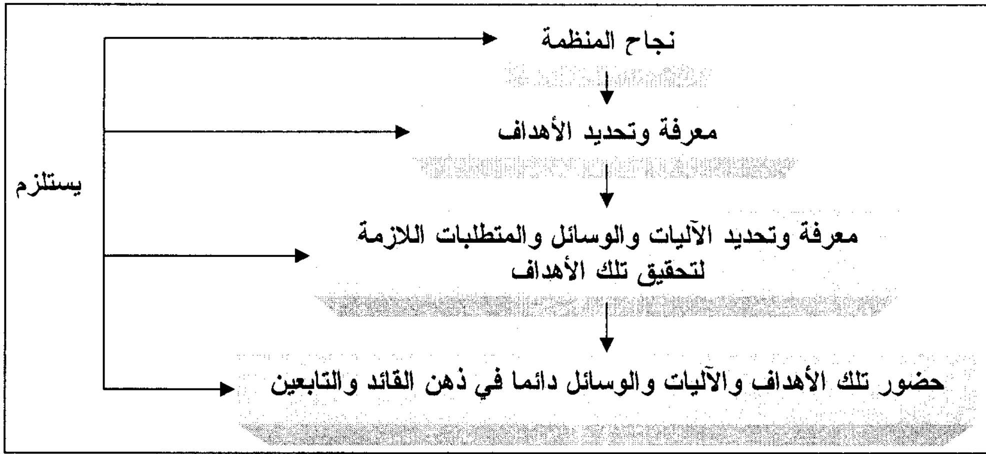
إنما له القدرة على أن يفعل أبدًا ما يرشد إليه، لم يكن هذا رئيسًا أصلاً ولا في شيء، بل يكون مرءوسًا أبدًا وفي كل شيء. ومن كانت له قوة على أن يرشد غيره إلى شيء ما ويحمله عليه أو يستعمله فيه فهو رئيس في ذلك الشيء على الذي ليس يمكنه أن يفعل ذلك الشيء من تلقاء نفسه، ولكن كان إذا أرشد إليه وعلمه فعله، ثم كانت له قدرة على أن ينهض غيره نحو ذلك الشيء الذي علمه وأرشد إليه ويستعمله فيه، كان هذا رئيسًا على إنسان ومرءوسًا من قبل إنسان آخر، والرئيس قد يكون رئيسًا أولاً وقد يكون رئيسًا ثانيًا، فالرئيس الثاني هو الذي يرأسه إنسان ويرأس هو إنسان آخر، والرئيس الأول على الإطلاق هو الذي لا يحتاج ولا في شيء أصلاً أن يرأسه إنسان.

وبذلك يقسم الفارابي القيادة إلى مراتب ثلاث، العليا تلك التي تصدر الأوامر ولا تتلقاها من أحد في التنظيم، والوسطى تلك التي تتلقى وتصدر الأوامر في الوقت نفسه، والدنيا تلك التي تتلقى الأوامر وحسب، وهذا يتفق مع أحدث الكتابات المعاصرة في مجال نظرية التنظيم والقيادة، انظر الشكل (2)، وهذا التقسيم الواضح لمستويات القيادة نراه يتكرر بشكل متلازم كلما استدعت الفكرة لذلك، وأن الأفراد في تنظيمه يقسمون إلى رؤساء وأكفاء ومرءوسون، وأنه في كل تنظيم لابد من وجود هذه الرتب (الفارابي، 2003: 60).

2- في الإدارة والتفكير والرؤيا الاستراتيجية:

ربما تكون من أكثر الموضوعات المرتبطة بموضوع القيادة هي تلك الصفة المرتبطة بالقدرات التصورية والاستشرافية في العمق المستقبلي للزمن لتحديد الشكل المطلوب فيه، إنها الرؤية الاستراتيجية والتي تعد بحق أساس القيادة (Kerin et.al,: 1990: 240).

ولهذا الموضوع عند الفارابي مكانة خاصة فهو من جهة مرتبط بصفات القائد، وهو من جهة أخرى متعلق بالجانب الميتافيزيقي من فلسفته، فالرئيس الأول عند الفارابي هو الذي استكملت قوة المتخيلة عنده بالطبع غاية الكمال (آل ياسين،1985: 268)، فإذا كان القصد من وجود الإنسان أن يبلغ السعادة القصوى فإنه يحتاج إلى بلوغها أن يعلم السعادة أولاً ويجعلها غايته ونصب عينيه، ثم يحتاج بعد ذلك أن يعلم الأشياء التي ينبغي أن يعملها حتى ينال بها السعادة، ثم أن يعمل تلك الأعمال (الفارابي، 1994: 65)، وهذا يعني: إن تحقيق النجاح الذي يُسعى له، يحتاج لبلوغه أولاً تحديد الأهداف والغايات بدقة، وأن تكون هذه دائمًا حاضرة في ذهن القائد وفي ذهن مرءوسيه، ثم يحتاج بعد ذلك أن يعلم الوسائل والآليات الفاعلة التي ينبغي الأخذ بها حتى يتم الوصول إلى تلك الأهداف والغايات، ولا يكفي ذلك، بل يجب تبنيها واعتمادها منهجًا عمليًا في جميع سلوكيات القائد وأعماله وقراراته، وكل هذا يتطلب حضورًا ذهنيًا واسعًا وافقًا مفتوحًا ليتم تحقيق تلك الرؤى والتصورات. ويمكن للباحث أن يتصور التسلسل المنطقي لفكرة الفارابي هذه في الشكل الآتي:

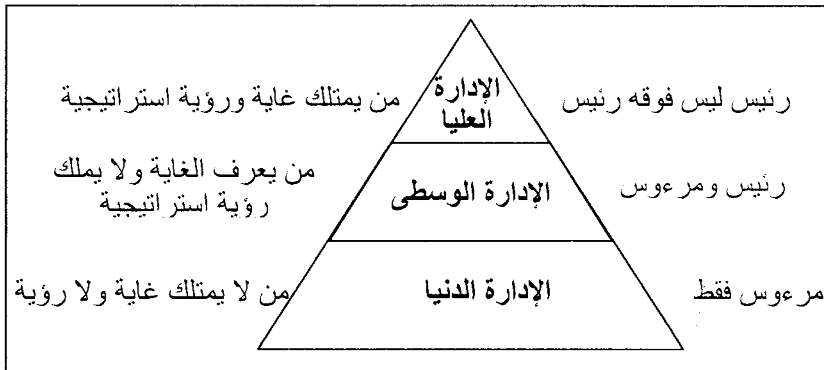


المصدر: من إعداد الباحث.

الشكل (1) العلاقة بين نجاح المنظمة وأهدافها ووسائلها

ونحن نعتقد أن هذا لا يعني إلاّ الرؤيا الاستراتيجية إذا ما قمنا بإسقاط نظري على مضامينها ذات البعـــد الاستراتيجي المستقبلي آخذين بالاعتبار التراكمات النظرية العلمية والتطبيقية العملية في هذا المجال، ذلـــك أن السياسة عند الفارابي هي أصلاً: رأي صائب، والمدينة الفاضلة (التنظيم الناجح) موجودة في عقل رئيسها قبل أن توجد كواقع اجتماعي، إنها برنامج وتخطيط قبل كل شيء (بنعبد العالي، 1997: 87) إذ يشير الفارابي في كتابه (الملة) إلى أن من واجبات رئيس الدولة تقديم آراء وأفعال يرسمها للجميع وهو يلتمس ما يرسم من ذلك أن ينال هو وكل من تحت رئاسته السعادة القصوى.

والإشارة الأكثر وضوحًا عنده في هذا الموضوع هي في كتابه (فصول منتزعـــة)، إذ قســـم الفـــارابي الرؤساء في ذلك الكتاب إلى من له غاية ورؤية واضحة يستنبط بهما جميع ما يوصل إلى تلك الغايـــة، ودون هذا الرئيس من تخيل الغاية من تلقاء نفسه، ولكن لا تكون له رؤية كاملة يوفى بها جميع ما ينـــال بـــه تلـــك الغاية، ودون هؤلاء من لا غاية عنده ولا رؤية (بنعبد العالي،1997: 74). وبذلك يمكن تصور مراتب القيادة عند الفارابي فيما يتعلق بالإدارة الاستراتيجية بالآتي:



المصدر: من إعداد الباحث.

الشكل (2) مستويات الإدارة الإستراتجية عند الفارابي

فما أعظم العقل الذي كان يحمله الفارابي الذي ميز به بين الغاية (الرسالة) وبين الرؤيا، ذلك الإطار العام الذي يحكم وجود المنظمة وقائدها وسلوكهما، هذه المفاهيم التي لم تظهر صراحة حتى دخولنا أعتاب القرن الحادي والعشرين في إطار ما ندعوه اليوم: ميدان الإدارة الاستراتيجية... فهل وصل التنظيم المؤسساتي في دولة الإسلام إلى هذه الدرجة من الوعي الإداري والتنظيمي؟ أم هو مجرد صدفة من تطابق الكلام؟ أم هو فيض من فيوض العقل الفعال الذي امتلكه الفارابي بكونه فيلسوفاً؟!

3- في الهرمية والتنظيم:

من الأمور التي لا لبس فيها في مجال الإدارة هي انقسام المنظمة إلى مستويات هرمية (هيراركية) تفصل بين مراتب الإدارة ومراكزها المختلفة داخل المنظمة، وتشير المصادر إلى أن أول من جاء بهذا المفهوم والمضمون بشكل دقيق وصريح هو "ماكس ويبر" في أنموذجه البيروقراطي، لكن لهذا المبدأ كما نعتقد أصولاً فكرية وتاريخية واضحة عند فيلسوفنا المسلم، فبالإضافة إلى الإشارة الصريحة والمباشرة والدقيقة لهذا المضمون في كتاباته، فقد أشار أيضًا إلى المصادر والأسس النظرية والفلسفية لذلك الترتيب الهرمي وآلياته ونماذجه.

يشير الفارابي بالنص إلى أن مراتب المدينة تتفاضل بحسب فِطَر أهلها وبحسب الآداب التي تأدبوا عليها، والرئيس هو الذي يرتب الطوائف، وكل إنسان من كل طائفة في المرتبة التي هي استيهاله، وذلك إما مرتبة خدمة وإما مرتبة رئاسة، وتكون هناك مراتب تقترب من مرتبة الرئاسة ومراتب تبتعد عنها قليلاً، ومراتب تبتعد عنها كثيرًا، وتكون تلك مراتب رئاسات، فتخط عن المرتبة العليا قليلاً قليلاً إلى أن تصير إلى مراتب الخدمة التي ليست فيها رئاسة ولا دونها مرتبة أخرى، فالرئيس بعد أن يرتب هذه المراتب فإنه متى أراد بعد ذلك أن يحدد وصية في أمر أراد أن يحمل عليه أهل المدينة، أو طائفة من أهل المدينة، وينهضهم نحوها، أوعز بذلك إلى أقرب المراتب إليه، وأولئك إلى من يليهم ثم لا يزال كذلك إلى أن يصل ذلك إلى من رتب للخدمة في ذلك الأمر (الفارابي، 1994: 72).

لا شك أن الفارابي يتكلم وليس "ويبر"، ولكن ما درجة التشابه هذه، وأي توضيح لهذا المبدأ عند فيلسوفنا المسلم؟ فالكلام من الدقة والوضوح ما لا يحتاج إلى تفسير حتى يفهم اعتماده لمبدأ الهرمية والتسلسل القيادي في أي تنظيم ناجح (المدينة الفاضلة) قبل "ويبر" بمئات السنين.

إذ من الواضح إن الفارابي يقسم مدينته (تنظيمه) إلى مستويات يوزع فيها أفرادها إلى مراتب عدة فهو القائل: (الفارابي، 1959: 98) أولها الرئيس، والمرتبة التي بها مقصود ذلك الرئيس، وأولئك هم أولوا المراتب الأول، ودون هؤلاء قوم يفعلون الأفعال على حسب أغراض أولئك، وهم في المرتبة الثانية... ثم هكذا تترتب أجزاء المدينة (التنظيم) إلى أن تنتهي إلى آخرين يفعلون أفعالهم على حسب أغراض من علا عليهم، فيكون هؤلاء هم الذين يخدِمون ولا يخدَمون ويكونون في أدنى المراتب.

ومن ذلك يبدو إن الرئيس الفيلسوف ستكون مهمته، وهو على قمة القيادة تحديد آراء وتشريعات تتكلــف النخبة الموزعة بحسب النظام الهرمي تطبيقها في جميع المجالات وعلى كل المستويات، فضلاً عن مســئوليته في خلق ذلك البناء الهرمي والمحافظة عليه، بناءً على معايير واضحة المعالم.

ومن ذلك يتبين أن البنيان الاجتماعي (الهيكل التنظيمي) الذي يشكل جوهر المدينــة الفاضــلة (التنظــيم الناجح) أشبه ما يكون بالهرم، يكون في قمته العضو الرئيس الذي يخدمه جميع الأعضــاء ولا يخــدم، وهــو رئيس ذلك التنظيم، ويأتي في القاعدة الأعضاء الذين يخدِمون ولا يخدَمون... وبين القمة والقاعدة توجد مراتب وطبقات تتفاوت... وأن أساس التدرج الهرمي بين أعضاء البنيان الاجتماعي (التنظيمي) هو اختلاف قــدرات ومؤهلات الأفراد، وبالتالي اختلاف صلاحياتهم للقيام بالأعمال التي تفرضها طبيعة ذلــك التنظــيم (صــقر، 1989: 26)

وزيادة في أهمية موضوع التدرج الهرمي عند الفارابي في تنظيمه وكيانه الإداري (المدينة الفاضلة) فإن أول الانتقادات التي كالها إلى أصحاب المدن الجاهلة هي أنها لا مراتب فيها ولا نظام، وبهذا المعنــى يكــون التراتب (التدرج الهرمي) فضيلة من فضائل المجتمع الصالح، مثل ما إن النظام سنة من سنن الكــون... وأن التدرج الهرمي عند أهل المدينة يرجع بالدرجة الأولى إلى تدرجهم في قدراتهم الشخصية ومــدى اســتخدامهم لتلك القدرات، فالبعض يفضل على الآخر في المرتبة الاجتماعية (المركز الإداري) بمقدار مــا يفضــل فــي المرتبة العقلية والقدرات الشخصية... وبالتالي فإن الهرمية هنا ليست مبنية علــى أســاس توزيــع الثــروات وامتلاك وسائل الإنتاج أو غيرها (بنعبد العالي، 1977: 78)، وإنما بناءً على معايير التخصص المبنية علــى قوانين الكفاءة والجدارة، فالأفراد عند الفارابي: (الفارابي، 1994: 64) يتفاضلون بالطبع في المراتب بحسب تفاضل مراتب أجناس الصنائع والعلوم التي أعدوا بالطبع نحوها، ثم الذين هم معدون بالطبع نحو جــنس مــا يتفاضلون بحسب تفاضل أجزاء ذلك الجنس.

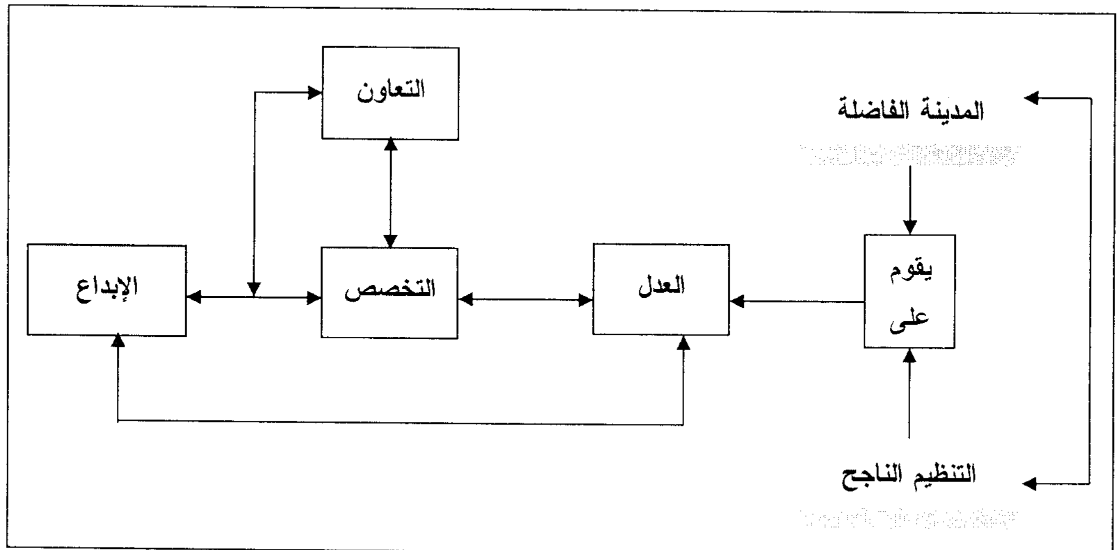
أي أنهم يتمايزون بحسب قدراتهم وتخصصاتهم وبحسب أهمية ودور تلك التخصصات من جهة فضــلاً عن مدى استخدامهم لإبداعاتهم وقدراتهم الكامنة للإيفاء بالأدوار التي أسندت إليهم.

4- رؤاه في التخصص والإبداع:

من الضروري بعد الكلام عن الهيكل التنظيمي والهرمي أن نعرج على موضوع التخصــص وتوزيــع الأعمال من خلال وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وما يترتب على ذلك من مراكز ومسئوليات، إذ يعد التخصص أساس العمل الإداري، فمنذ أن جاء "آدم سمث" بكتابه "ثروة الأمم" مركزًا على هذه الخاصية في ميدان الأعمال، اعتبر التخصص مفتاح الكفاءة الذي ترقى به كل الأعمال – الإدارية منهــا خاصــة – إلــى مستوى الإجادة والإبداع في كل ميدان.

وفي معرض تأكيده على هذا المبدأ يشير "الفارابي" إلى ذلك بتشبيه المدينة الفاضلة.(التنظيم الفاعل) بالبدن الذي يختص كل عضو فيه بخاصية تجعله مؤهلا، بل مخلوقا لإنجاز وظيفة معينة ومحددة، فالمدينة عنده أشبه بالجسم الواحد لا يستقيم أمرها إلا بالتضامن والتعاون وتوزيع الأعمال على أساس القدرات والمواهب (عبد العزيز، 1977: 14) ومن ثم فإن حد السعادة (تحقيق الأهداف وإنجازها) في هذه المدينة (التنظيم) لا يتحقق إلا بما يختص به كل فرد فيها من تلك المدينة بعمل ما على حد قول (الفارابي، 1959: 112)، لأن المدينة الفاضلة في نظره هي ما تتحقق فيها سعادة (أهداف) الأفراد على أكمل وجه، ولا يكون ذلك إلا إذا تعاون أفرادها على الأمور التي تنال بها تلك السعادة، واختص كلاً منهم بالعمل الذي يحسنه وبالوظيفة المهيأ لها (وافي: 30).

والتخصص شرط من شروط إنزال الناس منازلهم وإعطاء كل ذي حق حقه ورد الأمانات إلى أهلها، فلا توكل الأعمال إلى الناس في المدينة الفاضلة إلا بحسب المؤهلات، ولا يعطى الأجر على العمل إلا بحسب الإنتاج والإتقان والتجويد، فالتخصص شرط ضروري من شروط التجويد في العمل والإبداع فيه، وبذلك فإن أول ما يكون العدل عند الفارابي هو في التخصص، وهكذا لا ينظر هذا الفيلسوف إلى العدل والإبداع والتخصص إلا نظرة واحدة مجتمعة، حيث لا عدل بلا تخصص، ولا تخصص بلا عدل، ولا إبداع بلا عدل وتخصص، ولا ازدهار ولا ارتقاء إلا بالإبداع (صالح، 1992: 63)، وبذلك فإن الفارابي قد أوجد لنا أنموذجاً منطقيا شخص فيه علاقة تنظيمية فاعلة بين تنظيمه الفاضل وكل من العدل والتخصص والتعاون المفضي إلى الإبداع، ويوضح الشكل أدناه تصور الباحث لفكرة ولرؤية الفارابي في هذا المجال.



المصدر: من إعداد الباحث.

الشكل(3) العلاقة بين العدل والتخصص والتعاون والإبداع في تنظيم الفارابي

إن المدينة الفاضلة (التنظيم) في نظر الفارابي هي/هو ما يتحقق فيه ومن خلاله سعادة الأفراد على أكمل وجه (أهدافهم المحددة)، ولا يكون ذلك إلا إذا تعاون أفرادها على الأمور التي تنال بها تلك السعادة، واختص كلٌ منهم بالعمل الذي يحسنه وبالوظيفة المهيأ لها بطبعه (أمين، 1974: 104)، إذ يجب أن يتسم ذلك التنظـيم باعتماده على تقسيم العمل والتخصص، وبذلك فقط تظهر العدالة فيه وتتم به السعادة (وتتحقق به الأهداف)، أي عندما يؤدي كل فرد وكل مجموعة من المجاميع الوظيفية عملها المؤهلة للقيام به بموجب صفاتها ومؤهلاتهـا وقدراتها (الحسن، 2001: 65)، ذلك أن السعادة لا تتم والأهداف لا تتحقق إلا بالتعاون، والتعـاون يسـتلزم تقسيمًا للمهام، فكل فرد في المنظمة مطالب بأنْ يقوم بواجباته الفردية... وهنا تظهر وتدخل فكرة المسـئولية باعتبارها الجزء المكمل للتخصص من جهة وللمركز الوظيفي من جهة أخرى، وكل مسئول مطالب بسـلوك ينسجم مع مسئوليته ومع اهتماماته المحددة وبحسب درجة وعيه وافقًا لمهامه.

أي إن هذه المسئولية هي تحصيل حاصل ذلك التخصص الذي يبنى عليه ذلك التعاون، مسئولية اختياريـة إرادية قصدية واعية إبداعية تحكمها قدرات القائد (الرئيس) ومهاراته وتخصصه وكفاءته، لذلك فقد جعـل أبـا نصر المسئولية أساسًا لفلسفته، فهي عنده تستلزم الحرية في النظر وفي العمل، وإن أجلى مظاهر تلك المسـئولية وأوضحها في ذلك التنظيم هو حين يشعر كل صاحب مركز فيها بمسئوليته نحو ذاته ونحو الآخرين من حوله.

5- نظريته في تشخيص ومحاربة الفساد الإداري:

لا يوجد حتى الوقت الحاضر كتابات واضحة ودقيقة يمكن أن ترقى إلى مستوى نظرية موحدة وشـاملة لتفسير ظاهرة الفساد الإداري وتحديد أسبابها وتشخيص آليات علاجها، ولكن هناك بعض الأفكار والرؤى التي اهتمت بمعالجة هذه الظاهرة وتشخيصها وتحليلها والوقوف عليها من زوايا مختلفة وانطلاقًا من رؤى وفلسفات وتخصصات مختلفة.

وعلى ما يبدو أن الفارابي لم يتميز عن هذا بشيء، فهو يسعى من خلال مؤلفاته ذات العلاقة إلى تحصيل السعادة، تلك المرتبطة بالخير والصلاح، أي الضد من الفساد والإفساد، وهو يجتهد في تحصيل تلك السـعادة من خلال الإشارة إلى طرق تحصيلها من جهة وإبراز أضدادها والعمل على اجتناب آليات وطرق إفسادها من جهة أخرى، لذلك كانت رؤاه في تشخيص الفساد وتحليله تتعلق بفلسفته الأخلاقية عمومًـا وطـرق تحصـيل السعادة في مدينته الفاضلة تلك، وموضوع الأخلاق عند الفلاسفة عمومًا وعند الفارابي خصوصًا أعقد من أن يتم التطرق إليه في هذه الصفحة أو حتى توظيفه كاملاً في فكر الفارابي الإداري. لكن وبقدر تعلـق الأمـور بالموضوع يجدر القول: إن الفارابي يرى الفضائل والأخلاق ما هي كائنة بالطبع ومنها ما هي كائنة بـالإرادة وإن الإرادة تكمل ما أعده الإنسان بالطبيعة (صقر، 1989: 29) هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن فيلسوفنا في كتاباته عمومًا قد اهتم بالمسئولية والسلطة وربطها مع السلوك -كما سـبقت الإشـارة- فأصـبح تـولي المسئوليات والمناصب والمراكز الإدارية عنده مقاسه بصحة سلوك صاحبها ومدى قدرته على تحقيق أهـداف

تنظيمه (سعادة المدينة)، وربما كان منشأ ذلك هو الفساد في الجهاز الإداري الذي عاصره الفارابي وهرب منه واقعيًا عندما غادر بغداد، وذهنيًا خياليًا عندما رسم أو تصور مدينته الفاضلة الطوباوية.

ومن ذلك يمكن القول إنه لا معنى لفصل السياسة والإدارة عن الأخلاق. فإذا كانت الأخلاق تنبه إلى سبيل السعادة، فإن تحصيل الأخلاق لا يتم إلا بالتنظيم، ووظيفة الإدارة هي التي تعلم الإنسان كيفية تحصيل السعادة (بنعبد العالي، 1997: 54)، أي طرق وآليات واستراتيجيات تحقيق وإنجاز الأهداف التي يروم الوصول لها، تلك التي تشبع حاجاته المختلفة وبالتالي تحقق سعادته، ذلك لأن التنظيم أيًا كان شكله، هو ليس غاية بحد ذاته عند الإنسان وإنما بالأساس وسيلته لإشباع تلك الحاجات وتحقيق السعادة كما هو مفترض.

وارتباط المسئولية مع الأخلاق نراه في أجلى صوره عند الفارابي في الصفات التي حددها للقائد أو لرئيس المدينة، إذ ذكر الفارابي كما سبقت الإشارة صفات أخلاقية بحتة اعتبرها شروط ومواصفات تولي الرئاسة عنده، كالصدق والكرامة ومحبة العدل، بل وحتى خصائص الفرد في المأكل والمشرب. ذلك أن الفارابي كما يشير (أبو ربدة: 231) قد عزى خيرية أو شريرية المدينة الفاضلة بالرئيس، فتكون فاسقة إذا كان حاكمها جاهلاً بقواعد الخير أو فاسقًا أو ضالاً، أما مدينة الخير فهي التي يرأسها الرئيس الفاضل الذي تنطبق عليه شروط الرئاسة التي حددها فيه.

كما حرص الفارابي على ربط السياسة والإدارة بالأخلاق والفضائل، فقد حرص أيضًا على ربط النظر بالعمل والفكر بالواقع، وأنه لا يكفي أن تتوافر هذه الفضائل في شخص المواطن بل يجب عليه أن يمارسها في حياته العملية وأن يكون لسلوكه تطبيقًا للفضائل النظرية والأخلاقية والعملية تلك (صقر، 1989: 46)

فضلاً عن ذلك فإن صحة المدينة الفاضلة (التنظيم الناجح) عند فيلسوفنا ترتبط باعتدال أخلاق أهلها، وأن مرضها هو في التفاوت الذي يوجد في أخلاقهم، وأن من مسئولية رئيس أو قائد ذلك التنظيم هو دفعهم نحو الاستقامة (آل ياسين،1985: 311)، وبذلك يجعل الفارابي من مسئوليات القائد الأساسية هو السمو بأخلاق التنظيم الذي يرأسه لتحقيق السعادة، أي لإنجاز الأهداف بنزاهة وموضوعية وشفافية، بعيدًا عن الفساد وآلياته، وهذا بالأصل لا يمكن أن يكون إلا بأخلاق سامية للمسئول.

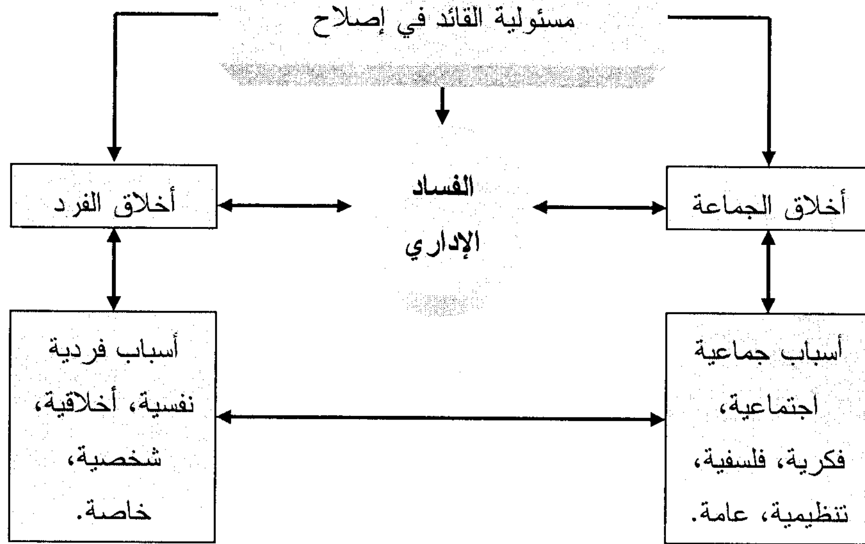
وبهذا المعنى يكون تفسير ظاهرة الفساد الإداري عند الفارابي وتحديد ماهيتها ومحتواها بالأساس مبنيًا على كل من:

أولا- العامل النفسي والفردي عند الأشخاص القائمين على التنظيم (القائد بالدرجة الأولى، والعاملين في ذلك التنظيم بالدرجة الثانية)، وهذا يعني أن صلاح المنظمة هو من صلاح أفرادها العاملين فيها وقياداتها التي ترأسها، وان الفساد في ذلك التنظيم مصدره وسببه ونموذجه هم أولئك الأفراد وتلك القيادات القائمة على ذلك التنظيم.

ثانيًا- عامل اجتماعي عام مفاده أن فساد التنظيم (المدينة) أو صلاحها يعتمد علـــى صـــلاح أو فســـاد آراء أهلها، أي عقيدتهم ورؤاهم وفلسفتهم التي اعتبروها واعتمدوها مصدرًا لأهدافهم وغاياتهم، بما معنـــاه أن فساد التنظيم وصلاحه مصدره ومجسمه فساد أو صلاح الفكر أو الفلسفة الإداريـــة التـــي تحكـــم التصرفات الإدارية لذلك التنظيم وأهدافه.

ذلك أن خير الإنسان داخل المدينة لن يتحقق بل ولن يبلغ الإنسان السعادة إذا ما هو اقتصر على مجهوده الفردي في تقويم نفسه واتباع طريق الخير ونواهي الأخلاق وأوامر الدين، فما تنهى عنه الأخلاق وما يأمر به الدين قد يظل مجرد شعارات جوفاء إذا لم تعاضده تنظيمات إدارية وسياسية فاعلة (بنعبـــد العـــالي، 1997: 110)، وبذلك جعل الفارابي للسلوك الأخلاقي دورًا مهمًا داخل تنظيمه.

وأخيرًا نحن نعتقد أن رؤى الفارابي وفلسفته في تفسير هذا الموضوع هي من التفسيرات الشاملة التـــي تدل على أفق معرفي لخبير في شئون الفكر الإداري وفلسفته، ويمكن للباحث بناء النموذج الآتي الذي يصور فكرة الفارابي، تلك المتعلقة بالفساد الإداري بالآتي:



المصدر: من إعداد الباحث.

الشكل (4) عوامل ومكونات الفساد الإداري عند الفارابي

رابعًا- خاتمة واستنتاجات:

1- كانت مدينة الفارابي (تنظيمه) مستنده في تصور فيلسوفنا المسلم إلى تحقيق السعادة، ذلك أن الفارابي كان متأثرًا بالعقيدة والفلسفة الإسلامية، فكانت مدينته أكثر قصدية وذات غرض واضح يخدم تلك الفلسفة وعقيدتها، ذلك أن مفهوم وفكرة وفلسفة التنظيم الصالح (المدينة الفاضلة) وسيلة لتحصيل أو لتحقيق

السعادة (إنجاز الأهداف وإشباع الحاجات) في الدنيا والآخرة، وهو في كلامه عن غرض وغاية ذلك التنظيم يريد تحقيق سعادة الدنيا والآخرة أيضًا، ونحن نعتقد أن هذا الغرض يجب أن يكون هو الأساس المعتمدفي بناء مؤسساتنا وتنظيماتنا وبما يتوافق مع الفكر الإداري في الإسلام.

2- جعل الفارابي من صفات نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين وأئمة آل البيت، (رضي الله عنهم جميعًا)، مرجعًا حاضرًا في وصف خصائص وصفات قائد تنظيمه الفاضل، ونحن نعتقد أن هذه الصفات والخصائص الفريدة التي حملها بجدارة أولئك القادة وسادت حينها الأمة بهم، يجب أن تكون أبدًا حاضرة مستحضرة عند تحديد الصفات والشروط الواجب توافرها في من يشغل المناصب القيادية والإدارية العليا في أي تنظيم عام.

3- يمكن أن نعد الفارابي من أنصار مدرسة السمات في القيادة، على الرغم من إدراكه وتشخيصه لأهمية ودور النظرية السلوكية فيها، مع شديد تأكيده على ضرورة الاعتماد على القدرات الإبداعية والذاتية والاستشرافية للقائد، لاسيما في كلامه عن القوة المتخيلة وضرورة اتصال الرئيس بالعقل الفعال.

4- آمن الفارابي بالتدرج أو التسلسل القيادي والهرمي لكونه معيارًا مهمًا لنجاح التنظيم، وعول أسبابه إلى عوامل تتعلق بقدرات وقابليات الأفراد العاملين من جهة، وبالاختصاص العلمي والعملي وحاجة التنظيم لذلك الاختصاص من جهةٍ ثانية، وهو بذلك يتفق ومبادئ العمل الإداري منذ أن جاء بها (ماكس ويبر) و(هنري فايول) من بعده،لذلك يمكن أن نعد الفارابي من منظري المدرسة الكلاسيكية في الإدارة، بشمولية تمتد بين المدرسة البيروقراطية ومدرسة التقسيمات الإدارية أو المبادئ الإدارية.

5- على الرغم من ذلك؛ فإن الفارابي كانت له وقفات واضحة وإشارات عميقة لأحد أحدث النماذج والأفكار الإدارية، التي لم يتم التعامل معها على المستوى النظري والتطبيقي حتى عصر عولمة الإدارة والأعمال، وهي آراؤه في التفكير والإدارة الاستراتيجية، وربما كان هو أول من ميز بين الرسالة والرؤيا الاستراتيجية، بين الاستراتيجيات والآليات والوسائل، بين الأهداف والغايات.. وغيرها، والتي تعبر بعمق عن وعي ونضج فكري وفلسفي إداري واضح لمن يحمله.

6- التخصص هو المعيار الأهم الذي اعتمده الفارابي في توزيع الأفراد ضمن الهرم التنظيمي لمدينته، والذي غايته التعاون وسببه اختلاف القدرات والمهارات والقابليات العقلية والجسدية لهؤلاء الأفراد ومدى استخدامهم لها، كما ركز الفارابي على التعاون القائم بالاعتماد على التخصص أيضًا بين مستويات ومراكز ذلك الهرم التنظيمي.

7- إن النتاج الرئيس لمبدأ التخصص الذي اعتمده الفارابي هو المسئولية، لذلك فإن لهذا المفهوم بعدًا مميزًا في تنظيم الفارابي، فهو يربطه بالحرية الفردية في التصرف من جهة، كما يربطه بالأخلاق والسلوك

الناجم عن تلك الحرية من جهة أخرى، وبالتالي فإنه لا فصل لديه بين المسئولية والأخلاق كما لا فصل لديه بين الإدارة والأخلاق.

8- أصبح الإبداع في العمل والتجويد فيه، مثار توصيات خبراء الإدارة ومنظريها، ووسيلة مثلى لتحقيق التطوير في العمل ولإنجاز الكفاءة والفاعلية في الأداء، والفارابي قدم أنموذجًا رائعًا للإبداع الإداري كجزء من منظومته الفكرية والإدارية، وأرجع عوامل مكوناته إلى تفاعل عناصر التخصص والتعاون المبني على أسس وقواعد العدالة في ذلك التنظيم، وهو أنموذج جدير بالاهتمام والتجربة والتطوير والتطبيق على مستوى منظماتنا العامة لكونه مرتبطًا بجذور تاريخية حضارية ملائمة لحاجة مجتمعاتنا بكل خصائصها وصفاتها.

9- تعاني مؤسساتنا من استفحال ظاهرة الفساد الإداري، وهي ظاهرة لها امتدادها العالمي، حتى أصبح يهدد كيانات وشركات ودول بأكملها، ويبدو أن فيلسوفنا المسلم قد أدرك ببصيرته النافذة حجم وأثر وخطر هذه الظاهرة على الجهاز الإداري، ناهيك عن اعتباره الضد من التنظيم الصالح والفاضل، لذلك سعى إلى بيان أسبابه وعوامله سعيًا للعمل على محاربة واجتناب خطره الذي يهدد تنظيمه الصالح، وهو في رأينا اهتمام كان في محله بعد أن تم إثبات – ومن خلال أحدث الأفكار والكتابات المعاصرة – علاقة الفساد بالحكم الصالح على مستوى السلوك الإداري في أي تنظيم.

10- أخيرًا جاءت الدراسة باستنتاج نعتقد أنه متوافق – استنادًا إلى كل ما سبق- مع الافتراضات العامة والخاصة التي انطلق منها البحث واعتمد عليها، وهي أن فيلسوف الإدارة الأول –الفارابي- قد قدم لنا من خلال أطروحاته وأفكاره وآرائه معالم واضحة وأسسًا بناءة ونماذج صالحة لمقومات ومبادئ علم الإدارة، ذات خصوصية مستندة إلى طبيعة المجتمع العربي المسلم وتركيبته، لأنها تعتمد بطبيعتها وبالأساس على الممارسات والتطبيقات الناجحة والمجربة لذلك المجتمع من جهة، وعلى عقيدة ذلك المجتمع ونوع ثقافته ونمط تفكيره من جهة أخرى، وفي اعتقادنا أنه من المهم جدًا أن تؤخذ بالاعتبار كل هذه الضوابط والظروف البيئية، والاعتبارات ذات الدلالة الاجتماعية والأيدلوجية والفكرية والنفسية والتاريخية – عند القيام بأي نشاط يسعى إلى الإصلاح الإداري أو عند خلق وبناء مؤسساتنا الإدارية أو القيام بأي جهد يستهدف عملية التنمية والتطوير في تلك المؤسسات.

المراجـــــع

أولاً- مراجع باللغة العربية:

- ابن خلكان، أبو عباس. [د.ت]. ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***. تحقيق: إحسان عباس. مجلد 5، بيروت: دار صادر.
- بور، ق. ج. [د.ت]. ***تاريخ الفلسفة في الإسلام***. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. " تونس: الدار التونسية.
- أمين، عثمان. (1973). ***شخصيات ومذاهب فلسفية***". مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية. القاهرة: الشركة المصرية للطباعة.
- أبو نصر، الفارابي. (1959). ***آراء أهل المدينة الفاضلة***". بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
- أبو نصر، الفارابي.(2003). "***رسالة في السياسة الشرعية: مجموعة رسائل***"، تحقيق: محمد حسن الشافعي، وأحمد فريد المزيدي. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو نصر، الفارابي. (1994). ***كتاب السياسة المدنية***". تونس: سيراس للنشر.
- آل ياسين، جعفر. (1985). ***الفارابي في حدوده ورسومه***. بيروت: عالم الكتب.
- بنعبد العالي، عبد السلام. (1997). ***الفلسفة السياسية عند الفارابي***. ط4. بيروت: دار الطليعة.
- الحسن، إحسان محمد. (2002). "منهج البحث عند الفارابي، ***دراسات فلسفية***" السنة 3، عدد 2.
- زيادي، صدام. (1989). ***المدخل إلى الفلسفة***. ج 1. بغداد: دار الحرية.
- شرف، محمد جلال؛ وعلي عبد المعطي محمد. (1975). ***خصائص الفكر السياسي في الإسلام وأهم نظرياته***. الإسكندرية: دار الجامعات المصرية.
- صالح، مدني .(1992). "السياسة الفارابية وآراء أهل المدينة الفاضلة"، ***آفاق عربية***، السنة 17، عدد 3.
- صقر، مصطفى سيد أحمد. (1989)."***نظرية الدولة عند الفارابي: دراسة تحليلية تأصيلية لفلسفة الفارابي السياسية***. المنصورة، مصر: مكتبة الجلاء الجديدة.
- عبد العزيز، سعد. (1977). ***فلاسفة الإسلام***. القاهرة: مؤسسة دار الشعب.
- الفاخوري، حنا؛ وخليل الجر. (1958). ***تاريخ الفلسفة العربية***. ج 2. بيروت: دار المعارف.
- كامل، فؤاد؛ وجلال العشري؛ وعبد الرشيد صادق. (1983). ***الموسوعة الفلسفية المختصرة***. بيروت: دار القلم.
- وافي، علي عبد الواحد. [د.ت]. ***المدينة الفاضلة للفارابي***. القاهرة: مطبعة نهضة مصر.

ثانيًا- مراجع باللغة الأجنبية:

- Kerin, A. and Others. (1990). ***Contemporary Perspectives on Strategic Market Planning***. Boston, U.S.A.: Ally & Bacon Inc.
- Mondy, R. and R. Premeaux. (1995). ***Management***. 7th .ed. Boston, U.S.A.: Houghton Mifflin.
- Robbins, P. (1994). ***Management***. 4th .ed. New Jersey, U.S.A.: Englewood Cliffs.

Al- Farabi's Administrative Thought: Historical and Authenticating Study

Dr. Atheer Anwar Shareef
Instructor in Department of Public Administration
College of Administration & Economics
Al- Anbar University, Iraq

ABSTRACT

Al Farabi is one of the most prominent Muslim philosophers who achieve their intellectual works in various field of sciences, which he has advantage in the political and social philosophy we believe, that, his works contain the contents of administrative and organizational worthy of research. Actually, this study has confirmed that the administrative and organizational thought and philosophy at the level of maturity, importance and depth, that is, interesting to research and study. The thoughts of Al Farabi is a real addition and cumulative in public administration. And the administrative and organizational thought can serve any breakthrough research adopt the historic authenticating curriculum of such achievements, that is, to identify and characterize the extent and volume of their relationship and attachments and roots of contemporary ideas in the same field.

Accordingly; this study, which depends basically on Al Farabi's writing dealing with management and on some resources that depend on his writing, refer to: Al Farabi's thought and ideas are in stage of Philosophical theoretic which emulate and consummate with modern management writing and ideas, Especially his opinion that related to Leadership, Strategic Vision and Management, Hierarchy, Organization, Specialization, and even field of innovation management or corruption issues and others, were in high level of theoretic.

The research basically depends on a main assumption that: our philosopher works obvious Islamic notable philosophy and ideas for foundations of administrative science in general, and specifically for Islamic administration, And his philosophy and ideas are as deep and recognized as to compete and emulate the modern though in organization and management, The study has proved the assumption via the text and terms of Al Farabi's writing, and through the modern explanation of his thought and ideas.

Most important of the conclusions is: Al Farabi can be described as one of the most important and premier classical school management theoretician beside of their different philosophy and theories.